

ليلة شتاء

قصة أونلاين



د. أحمد خالد توفيق

المكتباتي
almaktabati



**روايات مصرية
قصص أونلاين
ليلة شفاء**

- 1 -

Follow us :     /almaktabati

روايات مصرية
قصص أونلاين

المكتباتي
almaktabati

ليلة شفاء

بقلم د/ أحمد خالد نوفيق

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والنوزيع

- 2 -

Follow us :     /almaktabati

روايات مصرية

قصص أونلاين

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الإقتباس
أو النقل عن أي قصة أوروبية

الإشراف العام

الأستاذ / حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل إقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير تعرض
المرتكب للمسائلة القانونية

ليلة شتاء 1

أنا لا أحب مهنتي ..

كلما مررت بموقف مشابه دارت ذات الفكرة في ذهني أننى لا أحب مهنتي فقليل من الناس ممن عرفت يحب مهنته ما لم يشعر بأنها رسالة مقدّسة كما يفعل المدرّس أو الطبيب أحياناً أو يجدها مجزية جداً كما يفعل رجل الأعمال أو هي فعلاً مهنة ممتعة مثل ذلك الأخ راي هاري هاوزن الذي كان يصمم الوحوش في أفلام الرعب تخيل أنه يصحو من النوم صباحاً ويذهب لعمله ليصمم الوحوش حتى يحين موعد الانصراف!

أنا لا أحب مهنتي لكني لا أعرف سواها
فعندما يستدعونك لموقع الجريمة في الثالثة
صباحًا فإنك تلهث من البرد والتوتر وأنت
تتوقع ما ستراه فبعد كل هذه الأعوام ما زلت
لا أتحمل منظر الجثث وأمقت رائحة الدم..

اسمي عوني ..

في الخامسة والثلاثين من العمر ..

لا شك أنك عرفت مهنتي الآن فأنا ضابط
شرطة وقد رأيت الكثير طبعًا لكن هذا لا يعني
تصريحًا بالبرود أو اللامبالاة فهناك حوادث
تزلزل وجدانك فعلاً وتتحدى ثباتك المهني
فمثلًا عندما تجد الطريقة التي شوّه بها هذا
السفاح ضحيته والأسلوب السادي المريض
الذي ترك به توقيعه عندها لا بد أن ترتجف ..

على كل أن كوّنت نظريتي الخاصة بعد أعوام
فكل واحد يمكن أن يفعل أي شيء إذا أصابته
حالة جنون وقتية أو زال عنه قناع التحضر ..

أما عن الطقس الرديء فموضوع آخر ..

يصعب على المرء أن يتصور أن هذا عامل
مهم في مصر لكن بوسعي أن أخبرك
بعشرات القصص التي رحنا نجري فيها
التحقيقات في ظروف مستحيلة ..

مثلاً قصة اليوم حدثت في عزبة خارج المدينة
فنحن قرييون من الأسكندرية جداً لكن لن
أعطي تفاصيل ..

الآن يمكنك أن تتخيل ما يحدث ..

أمطار غزيرة جداً وفي ليلة كهذه تتمنى فعلاً
لو ظللت في فراشك لكن جرس الهاتف يدق

بالحاح وسوف تأتي السيارة لتأخذك حالاً
فهناك جريمة قتل ..

أرتدي ثيابي ومن تحتها بول أوفر ثقيل
وزوجتي تصر على أن أحترس من البرد ولا
أعرف كيف أحترس من البرد بينما كل ذرة
في الكون باردة واحترس من الطريق فكيف
أحترس من الطريق وقد تحوّل لبحيرة ودعك
من أن بسيوني هو الذي يقود وهو على درجة
من العته لا مثيل لها!

في الطريق وسط حمّى الوحل والبرق الذي
يشق السماء والمساحات أعرف من بسيوني
التفاصيل عندما قال: اتصلوا بنا وقالوا إن
هناك رجلاً لا يعرفونه اقتحم العزبة وقتل
أحدهم بسلاح ناري ثم فرّ ..

أقول له وأنا أرتجف من البرد: ليست تفاصيل مفيدة جدًا ..

- سوف نعرف كل شيء ..

رباه! .. أنا لا أحب مهنتي ..

كلما تذكّرت أنني كنت في الفراش منذ نصف ساعة دافئاً أحلم ..

أنا من ضباط الشرطة الذين يقفون في الركن في الزاوية الضيقة فلم أشتم ولم أصفع متهمًا في حياتي ولم أدرس قطعة بانجو في جيب أحدهم ولم أستغلّ سلطتي قط حتى في الحصول على رغيف خبز وفي الوقت نفسه أنا بالنسبة للمواطن العادي ضابط مغرور سادي يستغلّ سلطته بالتأكيد ..

لا أستطيع لعب دور الوغد لكنهم يصرون
على أنني كذلك باختصار أنا أنال النصيب
الأسوأ من الجانبين ..

السيارة تشق طريقها نحو تلك العزبة وهناك
عند ناصية الطريق يجلس ثلاثة من الخفراء
يصطلون بالنار وقد تدثر كل منهم كرجل من
الاسكيمو وهناك خيمة من المشمّع لتحميهم
من المطر الغزير ويقف أحدهم ليصوب علينا
نور الكشاف القوي ويهتف: لا يمكن الوصول
إلى هناك يا باشا سوف يفيض المصرف وبعد
ساعة سيتحول هذا كله إلى نهر عميق ولن
تعرفوا أين الطريق ..

قلت له في عصبية: صوّب هذا الكشاف على
شيء آخر أولاً .. لا يوجد حل لا بد أن يذهب
أحد هناك فلن ننتظر حتى يأتي الربيع! ..

راح يصف لبسيوني طريقًا مختصرًا ثم دعانا
لكوب شاي وكنا سنرحّب به طبعًا لو كانت
الظروف تسمح ..

ننطلق من جديد نحو تلك العزبة بينما خزانات
السماء تفرغ ما فيها فوق رءوسنا ..

يقول بسيوني في توتر: هذه رحلة خطيرة جدًّا
.. ربما كان من الأفضل أن نعود ..

- لقد تمادينا بما يكفي ..

لسان برق يشقّ السماء من جديد فأتفحص
الهاتف المحمول وأدرك أن الشبكة قد غرقت
في الماء وماتت ..

فجأة هتف بسيوني: إننا قد دخلنا العزبة ..

هذا صحيح!

صحيح أن العاصفة توشك على اقتلاع كل شيء والأمطار تجعل الرؤية مستحيلة لكن لا أعرف مكاناً آخر يمكن أن يكون مزروعاً بهذه الطريقة دعك من صوت خوار البهائم المذعورة في جرن ما ونباح كلاب تعتقد أنها نهاية العالم وذلك البيت المبني من القرميد ..
هذه عزبة فعلاً ..

ترجّلنا محاولين أن نتماسك كى لا نسقط في الوحل وأضأنا الكشاف بينما تحسّست مسدسي في توتر شديد ..

تبّاً .. لقد ارتفع الماء لدرجة لا تصدّق حتى أنني فتحت باب السيارة فتسرّب للداخل ..

اتجه بسيوني نحو الباب الخشبي العملاق ودق بيده الغليظة عدة مرات قائلاً: افتح بوليس! ..

لحظات وانفتح الباب بشكل شحيح وظهر وجه رجل مسنّ ريفي يرتجف يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ..

الإضاءة ساطعة هنا لحسن الحظ ..

ومن خلفه ظهر وجه رجل وسيم متأنق أعتقد أنه في الخمسين من العمر يلبس الجلباب الأبيض الفاخر المميز لأثرياء الريف هذا معناه أنه سيد بلا شك فسألته: عزبة الليثي؟

- أنا محمود الليثي .. تفضلوا ..

عندما دخلنا إلى المدخل الأنيق المريح تنهّدتنا الصعداء وشعرت بحرج من أحذيتنا المتسخة بالوحل لكن نزع الأحذية ليس جميلاً من الناحية البوليسية ..

- خيراً إن شاء الله؟

قلت له في حيرة: أعتقد أن هذه العبارة جديرة بنا أنتم اتصلتم وتكلمتم عن جريمة قتل ..

نظر لي في دهشة .. ثم نظر للعجوز ..

- أعوذ بالله يا باشا لم يحدث شيء من هذا ..

بلاغ كاذب إذن؟

سيكون هذا أسخف مقلب شربته في حياتي ..

لكن في الوقت ذاته كنت أنظر إلى الأرض إلى طرف الجلباب الأبيض فهذه قطرات دم طازج دم لم يتغير لونه بعد ولا يمكنه إقناعي بأنه كان يذبح الطيور في هذه الساعة وهذا الجو إذن البلاغ غير كاذب ويبدو أننا وجدنا القاتل بسرعة كذلك!

ليلة شتاء 2

قلت في ضيق وأنا أرتجف: لا تحاول إقناعي
أن ما حدث كان دعابة سخيفة .

ابتسم فقد كان من الطراز الثقيل جداً الذي لا
يهتزّ لشيء والصراع العقلي معه ليس هيناً
وقال في لهجة أسفة باطنها المزاح: هذه هي
الحقيقة لو كنا نعرف أنكم قادمون لقتلنا أحداً ..
في هذه اللحظة كان آخرون قد جاءوا من
الداخل ليروا ما يحدث ..

هناك شابان في سنّ المراهقة امتلأ وجههما
بالنمش وكانا يلبسان منامتين صوفيتين ثقيلتين
بعد هذا ظهر طفل مذعور في نحو السابعة

والنوم واضح تمامًا في انتفاخ العيون
واحمرار الأذان والغربال الذي رسم معالمه
على بعض الخدود ..

- ماذا حدث يا بابا؟

نعم ... هم إذن يستعملون لفظة "بابا" ..

قال الليثي: لا شيء عُذُّ وَاكْمَلْ نَوْمَكَ ..

ومن موضع بالداخل رأيت شبح امرأتين يبدو
أن هناك واحدة شابة وواحدة أكبر سنًا وكانت
كل منهما تلفّ ما يشبه "الطرحة" على رأسها
على سبيل اتّقاء البرد والحشمة ..

- محمود هل من شيء؟ لماذا الشرطة هنا؟

كان الصوت يدل على أنها في الأربعين
وجميّة غالبًا ولما لاحظ أننا ننصت صاح في

حزم دون أن يلتفت للخلف: ادخلي أنت
وابنتك! ما شأنك بهذا؟

انتظرت حتى توارت الأنثيان وقلت وأنا أشير
لحذائه: هل تريد القول إن هذا الدم صدفة؟

نظر للجلباب ثم قال: وما في ذلك؟ إنني أدبح
كل يوم فنحن عدم المؤاخذة فلاحون ..

- في هذه الساعة؟ ووسط هذه العاصفة؟

- هل يوجد ما يمنع يا باشا؟ لا بد للنسوة من
إعداد الخروف الذي سنطهوه غدًا ..

ساد الصمت ونظرت لبسيوني ونظر لي ..

لا يوجد ما نعمله بعد هذا ..

- هل أنت متأكد من أنه لا يوجد هنا شخص
آخر؟ شخص يرقد كجثة الآن؟

قال الليثي ضاحكًا: لا شيء من هذا كل الموجودين في هذه البناية يقفون أمامك أما عن المستأجرين في الخارج فلا أعرف عنهم شيئًا الآن ولو ماتوا جميعًا فلن أعرف ..

تبا .. أنا لا أحب مهنتي ..

نظرت لساعتي ثم تأهبت للخروج مما أضحك الجميع كأنني أكبر أحمق قابلوه في حياتهم وكنت كذلك فعلاً ..

- هل تمزح يا باشا؟ لقد فاض المصرف العزبة كلها صارت بحيرة ولن تستطيع بلوغ السيارة أصلاً لأنك ستهوي لتغوص في الوحل ولو تحركت السيارة فسوف تنغرس للأبد ..

قلت في غيظ: وما الحل؟

- الحل أن تبقوا معنا هنا حتى تتحسن الأمور
البيت بيتكم ونحن كرماء والله العظيم في
الصباح ربما نجد طريقة للعودة ..

هذا لن يكون .. المبيت هنا .. زوجتي ..

جربت الهاتف الجوال عدة مرات ..

كأننا في الأعوام التي سبقت اختراع الشبكة
أصلاً على كل حال زوجتي تعرف أنني أحقق
في جريمة قتل ولم أخرج لشراء سجائر ..

أنا لا أحب مهنتي .. لا أحبها بتاتاً ..

هنا صاح في زوجته: يا إنصاف!!

كأن المرأة تلقت باقي الرسالة وسرعان ما
اقتادنا الخادم العجوز إلى غرفة مسافرين

واسعة فنزعنا أحذيتنا وجلسنا على أرائك
عالية مريحه ..

- خذا راحتكما البيت بيتكما ..

وسرعان ما انفتح الباب ليدخل العجوز حاملاً
دورقاً لغسيل اليدين وطستاً ومنشفة ثم اختفى
من جديد وعاد هذه المرة بصينية عملاقة
عليها طيور محمّرة كثيرة جداً وإناء تتصاعد
منه رائحة البازلاء وأرز ورقاق ..

ما هذا؟ هل هم مستعدون بالأكل؟ وهل لا
يوجد عندهم وقت بين الفعل وردّ الفعل؟

وضعوا الصينية على الأرض فالتفتنا جميعاً
حولها حتى هم ..

ألم يتناول هؤلاء عشاءهم؟ أم هم مستعدون
للعشاء في أي وقت؟

انقضّ بسيوني على الطعام طبعًا أما أنا
فاكتفيت ببعض لقيمات فلست مرتاحًا لهذه
الوجبة ولا هذه الأسرة أصلاً ثم إن الطعام
الساخن سيؤدي دور المخدر معي وأنا لا أريد
هذا الآن ..

- كل يا باشا .. كل لتقاوم البرد ..

ثم أشار إلى الفتيين المراهقين اللذين كان كل
منهما يمزق دبوس دجاجة بأسنانه قائلاً: هذان
سامي ومصطفى ابناي طالبان في الثانوي أما
هذا الصغير فهو رأفت وهو في المدرسة
الابتدائية لي ابنة واحدة في سنّ الجامعة لكني
بينك وبينك أكره أن أرى حريمي في الشارع
والشباب ينظر لهن وقد اخترت لها عريسًا ..

قلت كلامًا عامًا على غرار "ربنا يخلي" ثم
أعلنت أنني راغب في الذهاب للحمام ..

نظر الليثي للعجوز الذي فهم على الفور
فأسرع يسبقني نحو خارج الحجرة وكان هناك
قبقاب ناولوه لي فصرت كأنتي راقص
كاريوكا في جزر الكاريبي ..

ضوضاء رهيبية فعلاً ..

الآن أمشي وسط ممرات مظلمة كئيبة ومن
مكان ما ظهر مصباح كيروسين فحملة
العجوز في يده وهو يسبقني ..

لم تكن دورة المياه رائعة لكنها أدت الغرض
على كل حال ثم إن الظلام دامس والبرد شديد
ولا أهتدي إلا بالضوء الخافت من المصباح ..

هناك دلو ماء غسلت به يدي ثم خرجت من
الحمام وهنا رأيت العجوز ينظر لي في ثبات
ولكن ماذا يريد؟

كان يشير بطرف خفي إلى غرفة جانبية
وبإصرار شديد كذلك ..

ماذا يريد؟

يريد أن أنظر دون ضوضاء ..

لكن ماذا هنالك؟

زججت برأسي في الغرفة و أشعلت عود ثقاب
كان في جيبي ..

وهنا كتمت صرخة ..

ليلة شتاء 3

كانت الغرفة لا تزيد على متر في متر اتساعاً ومشيدة من القرميد الأحمر فلم يعنَ أحد بتغطية جدرانها كما كانت هناك خراطيم كهرباء وأسياخ حديدية والمشهد الذي طالعني على ضوء عود الثقاب المتراقص كان جثة على الأرض ويبدو أن الماء يتسرّب هنا بشدة لأنها كانت وسط بركة ..

انتهى الثقاب فأشعلت ثقاباً آخر وعلى الضوء أدركت أنها جثة رجل به عدد هائل من الطعنات والضربات لا يمكن عدّها ونظرة رعب على الوجه ..

واضح أنه ريفي وإن لم يكن يلبس الجلباب
ومن الصعب أن أدقق في ملامحه التي
تشوّهت بهذا الشكل لكن أهم ما في الموضوع
هو أن هناك عددًا من الخِرق والأكياس
الممزقة قد ألقى فوقه ..

هناك من حاول إخفاء هذه الجثة عن العيان ..
انطفأ الثقاب فأشعلت عودًا ثالثًا ..

نعم .. في يده طبنجة لكن ليس من الحكمة أن
أفحصها لأن البصمات ستكون ثمينة جدًا على
كل حال حان الوقت فمددت يدي لنطاقي
وأخرجت المسدس الحكومي وهنا شعرت
بالشيخ يضع يده على يدي ورأيت في وجهه
نظرة مناشدة ألا أفعل شيئًا ..

- سأشرح لك كل شيء لكن ناشدتك بالله أن تخرج من هنا ..

لسبب لا أعرفه قررت أن أثق به لا أعرف يقيناً ما سوف أفسده لكنني لن أخاطر بذلك ..

ماذا يمكن أن يحدث؟

معي مسدس ومع بسيوني مسدس ومعنا سلطة القانون ومن المعروف أننا هنا ربما كان من الحكمة أن نصغي ولا نفعل شيئاً مؤقتاً ..

لكن ما يجب أن أتذكره هو أن هذه الأسرة تعرف أشياء لا تعترف بها ..

هم يكذبون فعلاً ..

طعام مسموم؟

لا لن يخاطروا بهذا دعك من أنهم أكلوا معنا
بلا حذر وبلا انتقاء ..

عدت لغرفة المسافرين حيث كانت عملية
الالتهام مستمرة فجلست على الأريكة فزام
الليثي محتجًا وهتف بقم مليء باللحم: طلبت
الذهاب للحمام وليس إنهاء وجبتك ..

- سفرة دائمة ..

وتربعت على الأريكة وأشعلت لفافة تبغ مع
كوب الشاي الذي جاء ..

لا أنكر أن الجوّ منوم ومدوّخ ..

الدفء! الدفء المقيت!

العاصفة والبرد بالخارج وأنت هنا دافئ ..

لكنك لست آمنًا! لا تتم .. لا تتم!

رباه! .. أنا أمقت مهنتي فعلاً ..

لما انتهت الوجبة وغسل الجميع أيديهم نظر الليثي في ساعته وقال: إن الوقت متأخر جداً لكن يبدو أن النوة لا تريد أن تهمد قليلاً ..

ثم أمر الليثي الشيخ بأن يجلب لنا ما يلزم للنوم وسرعان ما ظهرت حشيتان ووسادتان وملاءات وسرعان ما تحوّلت الأرضية إلى عنبر نوم فقلت له وأنا أقاوم رغبة عاتية في أن أدرس نفسي في بحر الدفاء هذا: نحن لا نريد أن نزعجكم فهي ساعات ونرحل ..

طبعاً كان ما يدور في ذهني هو أن هذه ليست بداية النهاية بل هي نهاية البداية على رأي الخواجة تشرشل فهناك جثة ممزقة في الداخل ومن مزّقها واحد من هؤلاء على الأرجح ..

قال الليثي بشخصيته الكاسحة وهو يساعد على فرد الحشية: لا تتفاعل يا باشا ربما طال الأمر على كل حال نحن لم نتجشم جهدًا كل شيء موجود ..

جلست على الأرض ووضعت مطفأة السجائر على حجري ثم نفضت السيجارة وسألته: هل العاملون بالعزبة هم كل من قابلناهم؟

- "نعم لكن قلت لك من قبل إن هناك مستأجرين للأرض لا أعرف شيئًا عنهم طبعًا فلا بد أنهم في أكواخهم يرتجفون من البرد ..
جثة ممزقة هنا ..

لو كانت من أفراد الأسرة لقالوا لي إلا إذا كانوا يمارسون أسلوب أومرتا عندما ينكرون

أي شيء أمام الشرطة لأن لديهم أجندتهم
الخاصة للتأثر ..

ربما .. أما لو لم تكن الجثة من الأسرة
فالإحتمال القريب هو أن القاتل واحد منهم
وهكذا تتعاون الأسرة كلها على خداعنا ولا
يعرفون أن الشيخ خائن ..

أخيراً صرت وحدي مع بسيوني الذي كان قد
أكل كثور حتى صار يتنفس بصعوبة وقال لي
سائلاً: هل أطفئ النور يا باشا؟

لم أردّ ونهضت وأغلقت النور أنا وهنا سمعت
بسيوني يقول في الظلام: والله أهل كرم فعلاً .

خ خ خ خ

تفكيره عملي جدًا لقد ظفر بأقصى ما يمكن أن
يظفر به وهو وجبة دسمة وترك لي أنا القلق
والخواطر السوداء ترى من هو الأذكى؟

أين مسدسي؟

يجب أن يكون معي تحت الوسادة ..

كنت أعرف يقينًا أن محاولة اتصال أخرى
ستتم ولكن متى؟

يجب أن أظل متيقظًا ..

لا بد أن نصف ساعة قد مرّ عندما لمحت ذلك
الشبح المحني يدخل الغرفة ففتحت عيني في
الظلام وأنا أعرف من هو ثم سمعت صوت
الشيخ الهامس ..

- يا باشا!

يزحف على الحشية إلى أن صار عملياً ينام
جوارى! .. طريقة غريبة جداً في التبسط ..

تحسّست المسدس ثم سألته: ماذا تريد؟

قال وهو يرتجف: الميت الذي رأيت اسمه أبو
زبيدة لا بد أنك سمعت عنه ..

أبو زبيدة! من لم يسمع عنه؟

القاتل المأجور الذي شيب أهالي المنطقة
وحيرنا معه إنه اسم رنان مخيف هارب من
عربة السجن منذ عشر سنوات وعليه حكم
بالإعدام استقر في القرى هنا وله أصدقاء
وأقارب يدارونه لكنه يملك شبكة اتصالات
ممتازة ويمكن لمن يريد قتل أي واحد أن
يتصل به ومن الممكن أن تجد ضحايا أبو
زبيدة لكن من العسير نوعاً أن تجده هو نفسه!

قال الشيخ وهو يرتجف: هو القاتل!

قلت في غيظ: ما شاء الله هو القاتل ومن الذي
قتله أبو زبيدة؟ ومن الذي قتل أبو زبيدة؟

نظر حوله في الظلام ثم همس: هذه هي
المشكلة نحن نعرف القاتل لكننا لا نعرف من
هو القتيل! ...



ليلة شتاء 4

الليل والدفء الذي بدأ يضرب بناره في أطرافي وخذّي وصوت الشيخ الهامس ..

أشعر أن هذا كله حلم سوف أفيق منه حالاً
الأجمل أن (بسيوني) لم يصحُ بعد مما جعلني
أتساءل عن المؤثر الذي يمكن أن يجعله يفيق
منزعجاً .. هل هو ذبُّحنا؟

المشكلة أن جهاز اللاسلكي لا يعمل بل يُحدث
هذا الأنين الغريب كأنه كلب مخنوق لا شك
في أنهم قلقون علينا ولا يعرفون أين نحن لكن
لا حيلة أمامهم لأن هذه العزبة صارت خارج
الزمن فعلاً ولا أعتقد أن الصباح سيسمح لنا

بالرحيل لأن كل هذا الوحل لن يزول قبل يوم
بشرط توقّف الأمطار ..

صوت الرعد يدوي كأن هناك حقل ألغام
ينفجر بالخارج فأقول للشيخ مغتاضاً: عم تتكلم
بالضبط؟ ما هذا الهراء؟ نحن نعرف القاتل
لكننا لا نعرف من هو القاتل! ثم من سمح لك
بأن تتسلل إلى هنا أصلاً؟

يصغي لي وهو يضع سبابته على شفتيه
محاولاً جعلني أخفض صوتي ..

كان ينظر نحو الباب ثم دفن رأسه تحت
البطانية فلم أتحرك وأدرت عيني بخفة فرأيت
الباب يفتح ببطء والضوء يتسرب بذلك
التأثير الشعاعي المعروف ثم يملأ فرجة النور
ظل فارغ لرجل ينظر لنا ..

رجل فارع القامة ضخم البنية ..

ولا يوجد أشخاص كثيرون لهم هذه الصفات .

يلقي نظرة كأنه حارس يطمئن على أملاكه ثم يغلق الباب ثانية وبعد دقائق أخرج الشيخ رأسه وراح يلهث يبدو أنه كان سيموت خنقاً وقال لي: يريدون التأكد من أنك لست فضولياً ولن تذهب هنا أو هناك ..

- من هم؟ عم تتحدث؟

أغمض عينه وراح يتكلم ..

رباه! .. لن أنسى أبداً نبرات صوته المسنّ ..

صوت رجل دنا من النهاية أكثر من اللازم وصار يعرف أكثر ..

الظلام والليل والحاجة إلى أن تتخذ قراراً ..

قال لي بذلك الصوت الرهيب: لم نعرف أي شيء غريب إلا في العام 1986 ليلة عاصفة مثل هذه والليثي الكبير المسنّ كان في غرفته وقد أوشك على النوم ثم خطر له أن المواشي تائراً أكثر مما يجب فخطر له أنها تتعرض لخطر أو هناك من يسرقها أو ربما هناك ثعبان تسلل لها المهم أنه ارتدى معطفه الثقيل والتفّ بالتفليحة وخرج في العاصفة ليرى ما يدور هنالك وأنا كنت نائمًا ولم أعرف ما اعتزمه ولم يعرف أحد أنه خرج فقد كان لا يهاب شيئاً على الإطلاق لكنه نسي كابينة التفتيش التي كانت تُبنى وبالطبع هناك إهمال في كل صوب وكان هناك كابل ضغط عالٍ عارٍ يتدلى حرًا أسقطته الرياح وصار يسبح في الماء وفي الثانية صباحًا سمعنا صرخة عالية وصوتًا يُشبه الشرر الكهربائي وانقطع

التيار الكهربى للحظات فخرج الجميع مذعورين يتساءلون عما حدث فوجدنا الليثى الكبير واقفاً في مدخل الدار وقال لنا ألا نقلق فقد حرّكت العاصفة الكابل لكن كل شيء على ما يرام ثم اتجه لغرفته ونام فعاد الجميع لغرفهم وفي الصباح لم يكن في غرفته بحثنا كثيراً وفي النهاية وجدناه ميتاً بالخارج قرب كابينة التفتيش وكان متصلباً وقد تقلّصت ذراعاه على صدره شأن من تلقى صدمة كهربية وعندما حاولت أن أنهضه صفعنتي الكهرباء وألقت بي متراً للخلف ..

كنت أصغي للقصة نافد الصبر فقلت له في ضيق: لحظة لقد قلت إنه بات في غرفته ..

- هذا ما رأيناه لكننا عرفنا أنه مات فعلاً صعفاً بالكهرباء عندما داس على ذلك الكابل ..

- يا سلام ومن ذلك الذي فسّر لكم كل شيء؟

- "هذا هو السر .. سر آل الليثي .. لا يعرفه إلا قليلون وفيما بعد قالت لي أم خضر العجوز التي تعمل في هذا البيت قبلي بعقود ذات القصة هناك شيء غريب يتعلق بهم ويحدث في أوقات معينة عندما يموت بعضهم تبقى منهم رؤى تتكلم وتمارس الحياة لبضع ساعات حتى لتحسبهم لم يموتوا بعد ثم يزول الوهم فتجد الجثة وتفهم ..

- تعني أن ذلك الشيخ مات لكن روحه أو طيفه هو الذي عاد للدار وتكلم معكم؟

- هذا ما أعنيه يا باشا ..

- جميل .. جميل .. وأبو زبيدة هذا؟

سعل الرجل ثم تمالك نفسه ودفن الغطاء في
فمه كي لا يرتفع صوته ثم قال: كح كح! لقد
تسلل للبيت وقتل أحدًا وأنا واثق من هذا فهناك
خلافات ونزاعات كثيرة حول الأرض
والحدود والري فلا أستبعد أن هناك من
استأجره للقتل ثم انتقم منه أهل البيت وقتلوه
وأخفوا جثته حيث رأيتها المشكلة أننا لا
نعرف من الذي قتله أبو زبيدة!

هنا كان صبري قد انتهى فأخرجت مسدسي
من تحت الوسادة ولوّحت به قائلاً: مشكلتك
أنت بسيطة جدًا لو لم تتصرف بتخاريفك
لفجّرت رأسك ولن أبالي بالعواقب!!

لم يبد خائفًا فقط نهض في صعوبة وزحف
على ركبتيه نحو الباب وأنا أطلق السباب ..

- مجنون وأحمق إن خرف الشيخوخة قد -

أخيرًا انغلق الباب ومعه راحت أفكاره
تتسابق فكل هذا هراء طبعًا لكن لو فكّرنا لبدا
مخيفًا فهذا يعني أن أحد الذين قضيت الأمسية
معهم لا وجود له وربما هم جميعًا ..

يطلق الغربيون على القصص البوليسية
مصطلح "من فعلها؟" أي أن القاتل غير
معروف وأحيانًا "كيف فعلها؟" بمعنى أن
القاتل معروف لكن الكشف عنه هو موضوع
القصة لكن للمرة الأولى أواجه اختراعًا جديدًا
اسمه "من المفعول به؟"

وكما قال الشيخ فعلاً: هذه المرة القاتل
معروف لكننا لا نعرف القاتل ..

ليلة شتاء 5

لا أعرف كيف نمت ..

هذا الجو النفسي لا يغري بالنوم أبداً لكن
الدفء والظلام يصنعان المعجزات دعك من
أن صوت العاصفة بالخارج يجعل التأثير
أسوأ لذا قد ذبت في الدفاء وانزلت قدماي
ببطء في حفرة من الشيكولاتة الدافئة فلم أعد
أستطيع التملّص ..

في المنام رأيت زوجتي .. رأيت أبي ..

رأيت

ثم سمعت صرخة مكتومة بشكل ما اقتحمت
الحلم كما يحدث في "أحلام المنبه" الشهيرة

وهكذا صحت من النوم وأنا أرتجف
واستغرقت قرنين حتى أتذكر أين أنا فأخذت
مسدسي ذو المعدن البارد الثقيل المطمئن في
يدي. ونهضت ..

طبعًا لا داعي لأن أوقظ بليونني ..

هرعت إلى حذائي فانتعلته وفتحت باب
الحجرة ووقفت أنصت قليلاً ..

صوت الرعد هذا ..

في الخارج كان هناك ظلام دامس وبرد قارس
لا بد من أن أشعل عود ثقاب ...

أشعلت العود ورفعته ورحت أرمق الردهة
على الضوء المتراقص وفي اللحظة التالية
ظهر ضوء متراقص ورأيت مصباح
كيروسين في يد شخص لكن بالطبع كان

الضوء يأتي من أسفل فلم أتبين الملامح
وسمعت صوت الليثي فعرفت بعبقرية أن هذا
هو الليثي كان يقول: أنت سمعت ما سمعته يا
باشا أليس كذلك؟

ابتلعت ريقي وظللت أصوّب المسدس نحوه
فقال في ثبات: ابعده هذه الطبنجة عني فأنت
سيد العارفين وتدرّك أن (السلاح قد يطول) ..

ثم تقدّم بذات الثبات ماشياً في الردهة ومشيت
وراءه مهتدياً بالضوء الذي يحوم حوله فسألته
وأنا أمشي بحذر: لِمَ مصباح الكيروسين؟

- يبدو أن الكابل قد ضرب والظلام دامس فلا
نستطيع أن نتبيّن السبب ..

في نهاية الممر كان ما يبدو كمطبخ واسع
وتأكدت عندما دخلت أنه مطبخ فعلاً مطبخ

ريفي ذو فرن واسع لخبز الفطير وهناك عدد كبير من الآنية والدلاء فقط يجب أن أقول إن رائحة الموت كانت غالبية ..

تسألني عن رائحة الموت ..

لا أعرف كيف أقول فقط لو قضيت في هذه المهنة فترة طويلة لتعلمت كيف تشمّها مثلي وهناك جثة هنا ولتقطع ذراعي إن كنت واهمًا

كان هناك حوض غسيل درت حوله وانتظرت حتى لحق بي فسقط الضوء على الأرض وهنا أجفنا معًا فقد كان العجوز الذي تسلل لغرفتي هناك راقدًا على ظهره وقد ارتسم الفرع على ملامح. لكن هذه الملامح كانت رخوة فقدت قدرتها على التشكل .. إنه ميت ..

ركعت جواره وتحسست نبضات عنقه ثم ألقيت نظرة على عنقه فكان هناك ذلك الحبل الغليظ يلتفّ حوله في حقد هناك من خنقه من الخلف وهذا قد حدث منذ دقائق على الأرجح عندما سمعت صوت الصرخة ..

- ميت؟

تساءل الليثي وهو يرفع المصباح أكثر فهزرت رأسي بنعم ..

الآن جاءت لحظة الحقيقة.. هناك من قتل هذا الشيخ وهناك من قتل أبا زبيدة والقاتل موجود هنا ويجب أن أقوم بعمل الشرطة المعتاد ..

كل شيء يشير إلى أن الليثي الكبير من فعل هذا على قدر تصوّري لا يوجد واحد قريب من هذا الجزء من البيت من أفراد الأسرة

دعك من أن أفراد الأسرة كلهم لا تسمح
حالتهم الجسدية بعمل هذا فهذا عمل رجل بالغ
لكن لماذا؟ من قتل هذا الشيخ ولماذا؟

الإجابة المنطقية هي أنه عرف أكثر مما يجب
أو تكلم أكثر مما يجب هناك من أراد أن
يخرسه قبل أن يتكلم أكثر ولكن ما الذي عرفه
أكثر من اللازم؟

هنا أستعيد قصته الغريبة السخيفة وأرتجف
هل في هذه القصة شيء من الحقيقة؟

مصرعه يؤكد بشكل ما أنها حقيقية هناك من
يهمه ألا يتسرب هذا الخبر وهذا الشخص هو
غالبًا من قتل أبا زبيدة ..

كان الليثي يسألني: من فعل هذا؟ الرجل عاش
بيننا زمنًا طويلاً .. من الكافر الذي

هنا كنت أهرع في الظلام نحو الغرفة التي كنا نائمين فيها فوجّهت ركلة من فوق الأغطية لجسد بسيوني الذي نهض مذعورًا مبسملاً محوقلاً وشعره المنتفش وجسده الدافئ يوحيان بأنه كان في الجنة تقريبًا فقلت له بصوت عالٍ: حان الوقت لتنهض ..

ثم عدت إلى الردهة حيث كان الليثي يراقبني كأنني مجنون فصوّبت المسدس إلى رأسه وقلت بصوت كالصراخ: الآن أنا أعرف أن من قتل هذا ومعه أبا زبيدة هو واحد منكم إنه تحت سقف هذا البيت!

ضرب كفاً بكف وقال: يا فتاح يا عليم من أبو زبيدة يا باشا؟

- أنت أدري!

هنا سمعت أصوات الأسرة ..

ببطء يظهرون وهم يفركون عيونهم فلا بد أن
صراخي سبّب فوضى عارمة في هذا البيت ..

هناك من يحمل المصابيح ..

رأيت الفتيتين المراهقين والصبى ومن رُكن
الباب أدركت أن المرأتين هناك فقلت وأنا
أصوّب المسدس نحو الجميع بيد راجفة نوعاً:
بسيوني هناك جثتان في هذا البيت الجثة
الأولى لأبي زبيدة وأنت تعرفه فكل المنطقة
تعرفه الجثة الثانية للشيخ الذي كان يقدم لنا
العشاء ومن قتل هذين موجود هنا تحت هذا
السقف إنه واحد من هذه الوجوه ..

يا لأعصاب الليثي! لم تهتز شعرة ولم يندهش
فقط تولى قيادة الموقف بذات الطريقة السابقة

وقال وهو يشير بيده إلى الغرفة التي كنا فيها:
ليكن يا باشا يمكن أن تقول هذا كله ونحن
جلوس سوف أسمع الكلام ذاته حتى لو لم
تصرخ في وجوهنا ..

ثم صاح في امرأته: الشاي يا إنصاف!
قلت وأنا أترجع: لن أذوق طعامًا أو شرابًا في
هذا البيت لا أريد أي شيء سوى تفسيرات!

- ولك هذا!

ليلة شتاء 6

جلسنا جميعًا في قاعة المسافرين ..

يا لها من ليلة! أنا بالفعل أمقت مهنتي ..

لكنها لم تعد ليلة بالضبط فنحن نقترّب من الصباح جدًّا لكن كيف تتوقع أن تشرق الشمس في هذا الصباح؟

ظلام .. ظلام .. كأننا في الشتاء القطبي ..

ضوء الكلوب يتوهّج بصوته المميز الذي كان يفتنني عند باعة الفاكهة الساهرين ومن حولي جلس أفراد الأسرة البعض افترش الأرض والبعض جلس على الأرائك العالية كان المسدس في يدي لكن عدم مبالاتهم به جعلني

أشعر بأنه بلا قيمة فهناك هيبة للأسلحة النارية
يجب أن يرتجف الناس عندما تصوّبها نحوهم
وإلا بدا الأمر مخيفاً ..

بسيوني كذلك راح يحكّ صدره وبطنه كأنه
مفعم بالبراغيث ولم يبالي بأن يُخرج مسدسه لا
شك في أنه جائع ويتمنى لو لم تدلهمّ الأمور
بهذا الشكل ليقدموا لنا الإفطار ..

قلت لليثي ضاغطاً على كلماتي: أرجو أن
تنضم لنا السيدة والابنة ..

قال في ثبات وهو يحدّق في عيني: أما هذا فلا
فليس للحكومة شأن مع حريم بيتي ..

لم أرد أن أضغط طبعاً ثم تذكرت أن زوجته
ليست من الأسرة وفعلاً لا دخل لها بالقصة

فسألته بقدر ما استطعت من تهذيب: ليكن
المدام ليست من الأسرة على كل حال ..

قال بثبات: بالعكس هي ابنة عمي! أنت تعرف
الريف تتزوج من ابنة عمك منذ لحظة ميلادك

هذا يعقد الأمور فالكل مشتبه فيه إذن وهنا
ومن دون أن أعرف كيف رأيت امرأة وفتاة
تتقدمان لتدخلوا القاعة ..

نظرة نارية توهّجت في عين الليثي لكنه على
ما يبدو قرّر أن يؤجل الانتقام لحين آخر ..

كلتاهما كانت تلفّ طرحة على رأسها
وشعرها بحيث لا تبدو سوى العينين تقريباً
لكن ما تبدّى من الوجه كان ينم عن حُسن
وبالفعل كانت الزوجة في الأربعين أما الفتاة
ففي سن الجامعة ..

- سلامو عليكم ..

ووقفنا جوار الباب صامتتين في مشهد شبه جنائزي وقال الليثي بعدما استعاد ثبات صوته: خيراً يا باشا؟ تقول إن هناك جنتين في البيت الشيخ المسن وجثة أخرى أنا رأيت الأولى لكن ماذا عن الجثة الأخرى؟

هنا صرخت المرأة: جثة؟! عم تتكلمون؟

صرخة جديرة فعلاً بزوجة تكتشف أن في بيتها جنتين فهذا يتهمها بالإهمال وعدم النظافة فالزوجة النشيطة تعرف على الفور أن هناك جثة في بيتها ..

قلت: هذا ما أتوقع أن أعرف إجابته جثة قاتل مأجور اسمه أبو زبيدة والكل هنا يعرفه أنت

تعرفه إنه في غرفة مقفلة جوار المراض
وقد تلقى عددًا هائلًا من الطعنات ..

شهقت المرأة بينما ظهرت الاستثارة في عيون
الشباب وأكثرهم بالطبع كان الصغير رأفت
فنظرت له لبعض الوقت ..

يا لشحوبه! أعرف أن الأطفال فريسة دائمة
للديدان والطفيليات لكن على قدر ما أعرف لا
يتجاوز الأمر بعض البقع في الوجه لكن للمرة
الأولى أدقق في وجهه فأجده شاحبًا جدًا ..

هذا غريب ..

قال الليثي وهو يتحسس شاربه: أنا لا أعرفه
ولا أفهم لماذا يأتي قاتل مأجور ليموت في
داري أنا بالذات ..

- كنت أمل أن تفسر لي هذا ..

كانت هناك بقع دم على جلبابه فلماذا؟

قال إنه كان يذبح حيواناً ..

لماذا يذبح المرء ليلاً ووسط هذه العاصفة؟

ما سبب هذا الحماس؟ ثم لماذا لم يكن هناك لحم حيواني على مائدة العشاء؟ كان الطعام كله طيوراً ..

قالت المرأة بصوت مبحوح: يا قاعدين يكفيكوا شرّ الجايين! نحن أكثر الأسر احتراماً في البلدة ولا شيء من هذا يحدث عندنا ..

كأن وجود جثث في البيت يدل على عدم الاحترام لماذا تلتفّ المرأتان بهذا الشكل؟

إنه يتحدى الحشمة أو التدين بل هو منظر
مرعب يذكرني بالمجذومين كما كانوا
يظهرون في الأفلام القديمة ..

قال الليثي بذات الحزم: صمًا يا إنصاف ..

هنا قال أحد المراهقين وهو من يُدعى
مصطفى: سمعت عن أبي زبيدة هذا هو رجل
مخيف لكن من قتله وكيف؟

ومطّ عنقه للأمام ..

هذا الجرح الغائر في العنق يبدو لي أعمق من
اللازم والغريب أنه يانع أحمر اللون ..

ليس جرحًا قديمًا لكن لماذا لم يضمده أحد؟

رأسي يوشك على الانفجار ..

رباه! يجب أن أتخلص من قصة الشيخ وأفكر بشكل مادي عقلائي يجب أن أتخلص من هذه الفكرة الحمقاء لو صدقت نفسي لتصوّرت أن كل واحد من هؤلاء ميت فعلاً ..

على كل حال لو كانت القصة صحيحة -وهذا مستحيل- فلسوف يسقط واحد من هؤلاء ميتاً ونكتشف أنه كان كذلك منذ جاء البلاغ ولو كانت خاطئة فعليّ أن أتصرف كشرطي يجب أن أطلب المدد وأطلب خبراء المختبر الجنائي لكن كيف وهذا اللاسلكي لا يعمل؟

قال الليثي وهو يشعل لفافة تبغ: سيدي لا أعرف ما تفكر فيه ولا ما تنتويه لكني بالفعل لا أملك تفسيراً ما أستطيع قوله هو أن بوسعك الانتظار ضيقاً كريماً في داري إلى أن تستطيع طلب رجالك أو مغادرة المكان بعدها

قم بتحقيقاتك وتصرفّ أما أنا فلديّ كلام كثير
عن الأمن في هذا البلد حيث القتلة يقتحمون
بيوت الأبرياء كنت أحسب هذا من عمل الأمن
وضمن مسؤولياته ..

واحد من هؤلاء ميت ..

واحد من هؤلاء ميت ..

الفكرة لا تفارق ذهني تبّاً لها ..

الأدهى أن يكونوا جميعاً موتى ..

ربما كان آل الليثي الحقيقيون موتى في غرفة
أخرى الآن وأنا جالس مع أطيف ..

قلت لليثي وأنا أنهض: أريد تفتيش البيت من
فضلك من حقك أن ترفض لكن ..

قال في ثقة وهدوء: لا داعي فليس لدي ما
أخفيه .. هيا بنا ..

وحمل الكلوب ..

ثم استدار لي فلحقت به وطلبت من بسيوني
أن يبقى حيث هو ..

طبعا كنت أرغب أن يراقب الباقيين ..

فقط أرجو أن يكون قد فهم هذا فغباؤه يثير
انبهاري في معظم الأوقات ..

ليلة شتاء 7

قلت لك إنني لا أحب مهنتي ..

ثقيلة متعبة مفعمة بالشك والكراهية والتوتر
أنت ترى الإنسان في أسوأ حالاته كضحية أو
كمجرم ولن تتضمن مهنتي بالتأكيد توزيع
أزهار على الأيتام أو سماع آخر مقطوعة
موسيقية لشتراوس ..

رحت والليثي نفتش البيت ..

في الظلام يصير هذا عملاً عسيراً شديد
التعقيد خاصة وأنت تخشى من يرافك لهذا
كنت أجعله يتقدمني باستمرار والكلوب في يده

فهذا بيت ريفي عملاق فيه كل ما يخطر ببالك
عندما تتخيل منزل ريفي موسر الحال ...

كانت هناك بعض الغرف يتسرب الماء من
سقفها غير المحكم وكانت هناك جثتان واحدة
في المطبخ وواحدة في تلك الغرفة التي لا
لزوم لها جوار الحمام ..

لا يوجد شيء غريب ..

باستثناء الجثتين طبعًا ..

لكني شعرت بشيء من الراحة عندما دخلنا
قاعة سقفها مكون من عروق خشب غير
محكمة فرأيت أن السماء ليست سوداء.. إنها
رمادية وثمة بصيص نور بدأ يتسلل برغم أنه
ليس كافيًا لترى قطرات ماء تتساقط لكن لا
شك في أن العاصفة تزول ..

قال الليثي ببسمته الواثقة التي تربكني بشكل
غريب: أظن أننا رأينا كل شيء يا باشا هل
يمكن أن نكفّ عن هذه الجولة؟

فجأة سمعنا صوت جلبة كأن هناك من يتشاجر
أو يصيح ...

بسيوني!

وقبل أن أفهم ما يحدث كان الليثي قد أطلق
سبة واندفع يسبقني نحو مصدر الضوضاء
لأجد نفسي واقفاً في الظلام فهرعت أحاول
اللاحاق به لكن خطواتي لا تألف هذا المكان
خاصة وهو يحمل الكلوبّ والضوء الرمادي
ليس كافياً ..

تعثرت وسقطت على الأرض ..

باو!!

دوى صوت الطلقة فى الصمت ..

لقد هوجم بسيونى!

هوجم بسيونى وأطلق الرصاص من مسدسه
لا شك فى هذا ..

تباً! من فعل ذلك؟

نهضت ممسكاً بمسدسى وفى حالة من التوتر
كظهر قط مذعور ولو لمسنى أحد لأفرغت
المسدس فىه بلا تردد ..

أنا عاجز وضعيف وواهن فى الظلام وحدي
والمسدس لا جدوى منه ..

هل هناك من يصرخ؟

فجأة رأيت الليثي من جديد وكان يحمل
الكلوب في يده والضوء يشعّ منه لكن لا أرى
من وجهه إلا جانبه ..

تأثير مخيف يذكرك بلوحات رمبرانت ولاحظ
حالة الجنون الوقتي التي أمر بها فراح يكلمني
كأنه يكلم طفلاً: هلم! اهدأ لا شيء لم يحدث
أي شيء ..

تراجعت للخلف فارتطمت بشيء يبدو أنه
مقعد ووجدت نفسي جالساً وأنا مستمر في
التصويب نحوه ..

- اهدأ يا باشا بشرفي كل شيء على ما يرام
الأخ الذي يرافك فقد أعصابه وحسب أن
أولادي يريدون مهاجمته فأطلق رصاصة

للتهديد في الهواء أنت تعرف كما أعرف أنه
محدود الذكاء ..

- وأين هو؟ أين هو؟

كنت أسأله بنبرة هستيرية تتعالى كأنني
سأنتهي بالصراخ والبكاء على المسرح لكن
الوغد كان آية في الهدوء وقال لي بصوت
منوم قليلاً: اهدأ قليلاً أقسم بشرفي إنه بخير
سأحكي لك حكاية ..

ظلت حيث أنا ألهث وأصغي فقال في الظلام:
أعتقد أن الشيخ حكى لك كل شيء عن لغز
أسرتنا وكيف يظل طيف الميت يحوم في
المكان لعدة ساعات يحدث هذا بالذات في
الليالي العاصفة وهذه الليلة الرهيبة قرر أبو
زبيدة أن الوقت مناسب ليتخلص مني إن أسرة

السنهوري تريد الخلاص مني بسبب مشكلة حدود الأرض تلك أخبرني أحد المستأجرين بذلك فقد رآه يحوم حول العزبة لكن العاصفة تجعل تبين أي شيء مستحيلاً وكنت أنا من اتصل بالشرطة ولم يكن هناك إطلاق رصاص لكنني قلت ذلك في البلاغ لأضمن أن يصل رجال الشرطة ما حدث بعد ذلك -وما فهمته مؤخرًا- هو أن أبا زبيدة تسلل للدار واصطدم بالشيخ فقتله كان من السهل عليه أن يخنق عنقه النحيل وألقى بجثته جوار حوض الغسيل الموجود في ركن المكان وأنت تعرف أن المطبخ واسع جدًا مع الظلام لهذا لم نر الجثة وما لم يعرفه أبو زبيدة هو أن الشيخ من أسرتنا هذه ..

نظرت له في زهول غير مصدق فالتمعت
أسنانه البيضاء في الظلام: نعم هو من الفرع
المعدم من الأسرة وهو يعيش معنا كخادم لكنه
يمت لنا بصلة القربى الآن يمكنك فهم لماذا
ظل الشيخ موجودًا طيلة الأمسية ..

- لكنكم قدمتم لنا الطعام ..

قال وهو يهتز بضحكة مكتومة:

- بل هو الذي قدّم الطعام فلم يدخل الحريم
المطبخ هذه الليلة ..

- هل تعني أن الذي اندسّ معي في الفراش
الليلة هو

- فسّر الأمر كما تشاء ربما كان حائرًا لا
يعرف حقًا إن كان ميتًا أم لا وكان يريد أن
يشرح لك ربما كان يريد التسلية لا يهم دعنا

نعد لسياق قصتنا لقد اختبأ أبو زبيدة في تلك الغرفة ينتظر أن يظفر بي وهنا فوجئ بذلك الشيخ ينقض عليه مسلحاً بسكين ربما كان الشيخ قد اكتسب قوة لحظية من الغضب وربما لعبت المفاجأة دوراً عندما يهاجمك شخص قتلته فعلاً في الظلام فأنت لا تقاوم كثيراً وقد مزق الشيخ أبا زبيده وغطى جثته كيفما اتفق ثم غادر المكان ..

ثم جاء يحكي لي القصة مع حذف التفاصيل ..

- الصرخة التي أيقظتك من النوم كانت صرختي عندما وجدت الجثة وفهمت كل شيء والآن أنت عرفت ما حدث يا باشا القاتل قتل ثم قتله القتل طبعاً لا يمكنك كتابة هذا في تقريرك لهذا أرى أن تستغل الساعة القادمة

في ترتيب قصة تقبلها الحكومة لا تفتش عن حقيقة أخرى فلا حقيقة سوى هذه ..

قلت ومخي يوشك على الانفجار من كثرة ما أريد السؤال عنه: وأين بсионني؟ بсионني؟

- بخير .. قلت لك بشرفي إنه بخير الآن أرجو أن تهدأ وتعيد المسدس ودعنا نعد للأسرة ..

نهضت مترنحًا ..

وقفت على الباب فنظر لي الليثي باسمًا وناولني الكلوب الذي لا يكف عن الأزيز وقال: أرجو أن تحمله أنت .. إن ذراعي ليست على ما يرام ..

نظرت له بشكّ ثم حملت الكلوب ومشيت في الممر متجهًا للغرفة التي كان فيها بсионني

والأسرة ولا أعرف متى لاحظت أنه لا يمشي
خلفي لقد ذاب في الظلام ..

هذا الزحام في الغرفة ..

لماذا تصرخ المرأتان وتلطمان؟

لماذا يبكي سامي ومصطفى؟

من الراقد وسط هذه المجموعة؟

بسيوني يثب نحوي في هستيريا وهو يلوح
بمسدسه ويصرخ: لم أتعمد ذلك أقسم بالله! لقد
أفزعوني حسبت أنهم سينقضون علي
فأخرجت المسدس أهددهم هنا فوجئت بالرجل
الكبير يعود للحجرة ويحاول نزع المسدس
مني لا أعرف كيف انطلقت رصاصة من
المسدس وأصابته فلم أتعمد ذلك!!

الآن أمكنني أن أرى ذلك الراقد على الأرض
وسط الباكين ..

إنه الليثي الكبير وثمة ثقب في جبهته ..

لن أسأل عن ذلك الذي جاءني وحكى لي
القصة وهو يحمل الكلوبّ ..

فلم يكن الليثي .. لم يكن هو بالضبط ..

رباه! أنا أكره مهنتي .. أكرهها فعلاً!

تمت بحمد الله

